لقاء قناة البغدادية بالدكتور إبراهيم الجعفري
2007/2/8
(الإرادة العراقية ومصالح الشعب)

المقدم: كيف تقرأ مستقبل العملية السياسية في ظل الحال التي وصل إليها الوضع في العراق؟

الجعفري: ما أنجزه العراقيون كبير جداً خلال المسيرة التي انطلقت فعلاً وليست ردة فعل، ولم تكن الأحداث التي أخذت صفة إقليمية أو دولية إلا ردود فعل التحقت بالإرادة العراقية، ولم تكن هي الفاعلة والمؤثرة في الإرادة العراقية، أعني أن ما يسمى بحرب الخليج الأولى التحقت بإرادة الشعب العراقي؛ لأنه سبق ذلك، وما يسمى بحرب الخليج الثانية هي الأخرى التحقت بإرادة الشعب، بدليل عندما توقفت حرب الخليج الأولى ظل العراقيون مستمرين في مناهضة النظام، وكذا الحال في حرب الخليج الثانية، وعندما جاءت ما يسمى بحرب الخليج الثالثة التحقت الإرادة الدولية بالإرادة العراقية لمساحة مشتركة فأدت إلى سقوط صدام، وحظي هذا القرار العراقي ابتداءً وهو الذي يشكل الفعل ابتداءً وتلته ردود الفعل الدولية والتي بدورها حظيت بردود فعل عالمية واسعة حتى في الداخل الأميركي؛ لأن تجديد رئاسة بوش لم تكن إلا على الأقل موافقة من الشعب الأميركي في ما أقدم عليه.. إذاً نحن أمام إنجاز كبير.

المقدم: هذا المدخل التاريخي أصبح من الماضي، ولكن ما هي نتائج العملية السياسية منذ تأسيس مجلس الحكم حتى الآن؟

الجعفري: أقولها بتجرد: إن شعبنا استطاع أن ينهض بمهمة أساسية اسمها الدخول إلى النادي الديموقراطي في العالم، وأن يمارس عملية تصويت صريحة وواضحة، ويمارس دوره في اختيار دستور وبرلمان وحكومة.. هذه الأعمال في المقاسات الديمقراطية ليست قليلة، إنما مقاسات انتصار كبيرة جداً، ومعناها انسلاخ العراق عن الديكتاتورية وانتماؤه إلى النادي الديمقراطي.. نعم، هناك تحديات منها ما انطلق من الداخل العراقي ومنها ما انطلق من الخارج الإقليمي وحتى الخارج الدولي، وكنا نتطلع ولانزال أن نحصل على دعم؛ لإسناد العملية الديمقراطية في الداخل العراقي، لكن للأسف الشديد تحولت صور الدعم التي كنا نتطلع اليها إلى إملاءات من هذه القوى وهذا الإقليم وتلك الدولة.. هذه بمجموعها شكلت تحديات كبيرة بوجه العملية السياسية، وعلى الرغم من ذلك فالعملية السياسية تتقدم، وتحاول أن تواجه كل الملفات بثبات من جانب وبما يحافظ على ما تحقق سابقاً من جانب ثانٍ، والتغلب عليها بأقل الخسائر لتحقيق أفضل النتائج من جانب ثالث.

المقدم: الشعب العراقي أنجز ما عليه وذهب إلى الانتخاب، ولكن العملية السياسية لم تنجز الشيء الصحيح، بل إن الكتل النيابية تشكلت على أساس فئوي طائفي انعكس على الوضع في العراق، الكثير يقولون: إن الشعب أنجز ما عليه لكن السياسيين خانوا الشعب، وتمظهروا سياسياً على شكل فئوي وطائفي وهذه هي نتائجه.

الجعفري: العملية الديمقراطية تؤسس أستراتيجياً لحكم جديد، أي أن يأخذ الدستور موقعه في النظام الديموقراطي، ويأخذ البرلمان موقعه في النظام الديموقراطي، والدستور مداه بعيد جداً، والبرلمان مداه متوسط، فيما يكون مدى الحاكم والحكومة قصيراً، فلا يمكن التفكيك بين مسار العملية الديمقراطية أستراتيجياً على المدى البعيد وآثارها وبصماتها على الدستور والبرلمان، وبين شكل الحكومة وتوازنها وحداثة التجربة، فحتى إذا - لا سمح الله - تلكأت التجربة على مستوى التشكيل الحكومي هنا وهناك في الحكومة السابقة أو الحالية في بعض أجزائها، فإن هذا لا يعني أن النظام الجديد قد تلكأ.. النظام الجديد يقوم على قاعدة جماهيرية، وقد توافرت له هذه القاعدة، وتوافر على دستور، وبرلمان وهذه عناصر قوة تشكل ذخيرة للعملية الدستورية على المدى البعيد.
كل التجارب الحديثة تتعرض لبعض التلكؤات، ولكنها تحقق نجاحات وهي الأبرز في مسيرتها.. فالحل هو التفكير بمواجهة هذه التلكؤات، وتحقيق الانسجام بين نجاحات النظام الأستراتيجية البعيدة وبين نجاحات الحكومة على مستوى المرحلة الآنية.

المقدم: كيف تنظر إلى الاحتراب الفئوي؟

الجعفري: أعتقد أن هناك جهوداً دولية وإقليمية إضافة إلى تلقيات محلية تتظافر لتنتج مركب الفتنة الطائفية والاحتراب الطائفي الذي يراد الوصول إليه؛ فهي ظاهرة دخيلة لا وجود لها من ناحية البعد الفكري والقيمي؛ لأن الشعب العراقي شعب متعدد المذاهب، وليس محترباً من الناحية الطائفية، ولم يكن في التاريخ العراقي عملية احتراب سني - شيعي، أو إسلامي - غير إسلامي، أو عربي - كردي تنبع من داخل الجماهير..
ظاهرة الاحتراب الفئوي من الناحية السياسية جاءتنا من مجموعة رهنت نفسها مع صدام، ودعمها وغذاها البُعد الأجنبي مبنية على ثقافة متطرفة تكفيرية تحكم على الغير بهدر الدم لا لشيء إلا لقتل الرأي... والموجود حالياً هو حالة احتراب بين مجاميع طائفية تعمل في الوسط الشيعي، وتحاول أن تضطهد أقلية سُنية في هذه المنطقة أو مجموعة في منطقة ذات أغلبية سُنية وباسم السُنة تضطهد مجموعة شيعية... فليس هناك احتراب طائفي بل هناك احتراب بين طائفيين.

وإذا تُرك الأمر على حاله قد يتمدد أكثر فأكثر، فالأمر يحتاج إلى جهود إضافية حتى نخنق هذه الممارسات والتخرصات الطائفية بطريقة واعية، ونحول دون أن تأخذ حيزاً أكبر من واقعها..

المقدم: هنالك استحقاقات على الحكومة العراقية تنفيذها سواء كانت داخلية أم خارجية كما لاحظنا من التشديد الأميركي على إجراءات ينبغي على الحكومة إجراؤها أو تشكيل الخطة الأمنية أو مواجهة ما تفرضه أستراتيجية بوش الجديدة، وكأن الحكومة في امتحان بحيث وصل الأمر ألى تحديد سقف زمني لإنجاز هذه الإجراءات والخروج من المأزق العراقي.. هل تواجه الحكومة العراقية مأزقاً أم هي تحديات اعتيادية تقليدية؟

الجعفري: عندما تواجه الحكومة تحديات نحن جميعاً نواجهها مع الحكومة جنباً إلى جنب، ويفترض أن نواجهها بآليات عراقية.. أنا أربأ بنفسي وبالحكومة عن أن تخضع لمؤشرات دولية أو إقليمية في القدر العراقي، القدر العراقي قدرنا، ويبقى قدراً عراقياً لا يحيد عن هذه الحالة، أما الطرف الأميركي والطرف الإقليمي وطريقة تفكيره حول العراق فهذه قضية تخصه.

بالنسبة لنا كعراقيين وطنيين نفكر بالقدر العراقي، وإذا أردنا أن نوجد مساحة مشتركة مع الآخرين فلا بأس به ما لم يكن ذلك بديلاً عن القرار العراقي، وانعكاساً لإرادة دولية وإرادة إقليمية..

لقد أثبت الواقع العكس وهو أن القدر العراق انعكس على الوضع الأميركي داخلياً، ونشر ظله على الوضع الإقليمي.. فملف العراق على المسرح الأميركي هو أسخن الملفات، وهذا دليل على قوة العراق وعلى العراقيين وقدرتهم أن يديروا العملية السياسية للصالح العراقي، بما يؤدي إلى ردود فعل إقليمية تصب في صالحنا.

المقدم: هنالك من يرى أن الخطة الأمنية التي وضعتها الحكومة تستهدف مصادر العنف في العراق، والقوات الأميركية تستهدف مصادر العنف في العراق، هل هذه المصادر مشتركة، هل الأميركان والحكومة يواجهون نفس العدو على الارض؟

الجعفري: نحن لا نواجه عنفاً بل نواجه إرهاباً لم يواجهه أي بلد في العالم، وإلا بأي شيء نسمي قتل طفل عمره أربعة أيام امام أهله، ولو كانت هناك كلمة أقسى وأسوأ من كلمة أرهاب لقلتها، وبأي شيء نسمي قتل الأبرياء بالمفخخات وتمزيق أشلائهم.. لن أتردد في أن أسمّيه أبشع أنواع الإرهاب في العالم؛ لأنه لم يشهد له مثيلاً قط.

المقدم: هنالك قضية سياسية مهمة جداً وهي إن بعض الكتل النيابية الكبيرة، وتحديداً الائتلاف شهدت خلافات بين مكوناته، أين دور حزب الدعوة من هذه الاختلافات؟

الجعفري: الائتلاف كمركب سياسي يتكون من مجموعة قوى، وهناك خلافات في وجهات النظر، كما إن الائتلاف فيه من الانفتاح ما يجعل المختلف عليه يشق طريقه إلى العلن، ربما لا يوجد مثل هذا الأمر في بقية الكيانات والجبهات، لكن يبقى الائتلاف أكبر كتلة برلمانية، ويبقى يحظى بثقة الشعب العراقي بفضل الجذور التي يمتلكها عناصر الائتلاف من شخصيات مختلفة وكيانات مختلفة؛ لأن الشعب العراقي هو الذي صنع الائتلاف، ولم يكن الائتلاف هو الذي صنع الشعب العراقي.
مرة أخرى أقول: إن حداثة التجربة تجعل بعض السياسيين يحتاجون بعض الوقت؛ حتى يجيدوا فن خدمة العراق باستخدام الحزب، وليس استخدام العراق لخدمة الحزب، بتعبير آخر يجب أن ينسلخ عن حزبويته، وإذا أراد أن يحتفظ بحزبيته عليه أن يكون حزبياً طبيعياً، الشخصنة والحزبوية مرفوضتان بكل المعايير، وأطمح أن يستفيد الائتلاف من هذه التجربة، ويتمتع بروحية المراجعة وشجاعة الاعتراف بالخطأ، والتطور نحو الأفضل؛ لأن فيه من عناصر القوة ما يمكن أن يؤدي خدمة كبيرة جداً للعملية السياسية وللشعب العراقي.

المقدم: يقال: إن أي حزب بدون جناح عسكري لايمكن أن يعيش بحرية ويتصرف بمرونة بل هو ضمان لبقائها وممارسة نشاطها بشكل واسع، وحزب الدعوة ليس لديه جناح عسكري والوضع في العراق متوتر؟

الجعفري: الدعوة في مرحلة الديكتاتورية اعتمدت جناحاً عسكرياً، وهو قوات الشهيد الصدر، وعندما سقط النظام المقبور لم يعُد هناك مبرر لوجودها، الدعوة ليست حركة معسكرة، الدعوة حركة جاءت لتقدم قيماً ومبادئ وطنية، ولا داعي لأن تقرن صوت الكلمة بصوت البندقية..
عندما سقط النظام انتهى الخط العسكري، وأصبح قضية تاريخية، وهناك ثورات في العالم قادها روادها مثل (المهاتما غاندي)، واستطاع أن يستقل، وينتصر بالثورة الهندية من نير الاستعمار البريطاني، وكانت الثورة سلمية.. السلاح ليس أمراً سهلاً، ولا يلجأ إليه مالم تكن هناك حالة استثنائية تتطلب حمل السلاح.. أما الآن فنحن نعيش في ظل نظام ديموقراطي، ولا يصح فيه أن يلتقي صندوق الاقتراع مع حمل السلاح.

المقدم: هناك ملاحظات صدرت عن سياسيين مشاركين في العملية السياسية والتشكيل الحكومي تنطوي على خلفية وعلى معلومات، مثلاً تصريح الأستاذ عادل عبد المهدي نائب رئيس الجمهورية بأن قرار أميركا في احتلال العراق كان قراراً أحمق، ما هي خلفية مثل هذه التصريحات في العملية السياسية؟

الجعفري: احتلال أي بلد قرار خاطئ، ولا يوجد بلد في العالم يتقبل أن يكون محتلاً، وهذه ظاهرة ليست طبيعية في عالم يدّعي فيه حقوق الإنسان واحترام إرادات الشعوب، ولذلك الاحتلالات التي حصلت في العالم كلها انتهت، وانسحب الاحتلال.. وأمر الاحتلال لا يطول، وينتهي..

ما حصل في العراق حرو أعقبها؛ لذلك رفضنا المشاركة في مؤتمر لندن، ورفضنا المشاركة في مؤتمر صلاح الدين، ورفضنا المشاركة في مؤتمر الناصرية، ورفضنا المشاركة في مؤتمر بغداد؛ لأننا كنا نعتقد أن هذه المؤتمرات واجهة لضربة عسكرية وللحرب، لقد تعرّض العراق لدمار الحرب ودمار الاحتلال، ولكن الاحتلال أصبح واقعاً على الأرض، ولابد لنا أن نتعامل مع ما هو موجود على الأرض؛ لنصنع البديل عن الاحتلال، وقد ساهمنا مساهمة أساسية انعكست على قرارات الأمم المتحدة من 1483 إلى 1511 إلى 1546.

المقدم: ولكن الملاحظ من مقررات مؤتمر لندن والتشكيلات التي خرج بها أنها هي التي أنشئ بها الوضع العراقي السياسي بعد احتلال العراق وسقوط النظام؟

الجعفري: ما حصل في الماضي أصبح تاريخاً، وأنا أنظر إليه على أنه نافذة للمستقبل؛ حتى لا يتحول الماضي إلى عقدة ماضوية، أقول: استطعنا أن نحقق الكثير من المنجزات، فقد بدأ العراق باحتلال مشرعن، وانتهى باعتراف بقوات متعددة الجنسيات تنتظر ترخيصاً من الحكومة المنتخبة لكي تجدد مدة بقائها كل سنة، والآن القوات متعددة الجنسيات ما لم يطلبها رئيس الوزراء المنتخب من الشعب العراقي لا حق لها أن تبقى في العراق، هذا هو نص قرار تدعمه الأمم المتحدة، وتحولت من قوات احتلال إلى قوات متعددة جنسيات، وقئل مثل ذلك في كثير من الأمور، العراق اليوم دولة لها سيادتها ولديها سفارات في كثير من دول العالم.